JUNE 2019
Vol 1 Issue 2

The Zengid And Ayyubid Military Elite In The Levant

Dr. Saja Mishal Rasheed

Saja @gmail.com

Issn print: 2710-3005. Issn online: 2706 – 8455, Impact Factor: 1.705, Orcid: 000-0003-4452-9929, DOI 10.5281/zenodo.10498880, PP 61-69.

Abstract: The Crusader invasion and occupation in the Levant created a new reality represented by the emergence of strange and hostile political entities whose primary goal was to wage wars against Muslims and seek to occupy more of their lands, and the continuous agreement of masses of European fighters to participate in these operations. This continuing and imminent danger necessitated social and political changes in the region, including the emergence of ruling regimes whose most prominent priorities were defending the areas remaining in Muslim hands, such as Damascus and Aleppo, and then striving to liberate the occupied territories. This led to the rise of the military elite that arose under these regimes to the highest ranks in industry. The decision to make the conflict with the Crusaders the highest level of the special class. It came directly after the ruling families in the societal ranking. In this research, we will discuss the emergence of this military class, the nature of the development of its influence in the Zengid and Ayyubid states in the Levant, and the main positions it held that emerged at this stage, as a result of the Islamic-Crusader conflict. In addition to the political roles it played in the Levant, whether in the jihad against the Crusaders or within Islamic-Islamic relations.

Keywords: Military, Zengid, Ayyubid, Levant.

النخبة العسكرية الزنكية والأيوبية في بلاد الشام

ملخص الدراسة: لقد أوجد الغزو والاحتلال الصليبي في بلاد الشام واقعا جديدا تمثل بقيام كيانات سياسية غريبة ومعادية غايتها الاساسية شن الحروب على المسلمين والسعي لاحتلال

المزيد من أراضيهم، والتفق المتواصل لجموع المقاتلين الاوربيين للمشاركة في هذه العمليات. هذا الخطر المتواصل والداهم استدعى تغييرات اجتماعية وسياسية في المنطقة من بينها نشوء انظمة حاكمة كانت أبرز اولوياتها الدفاع عن المناطق المتبقية بأيدي المسلمين مثل دمشق وحلب ثم السعي لتحرير الأراضي المحتلة، فأدى ذلك إلى ارتقاء النخبة العسكرية التي نشأت في ظل هذه الانظمة الى المراتب العليا في صنع القرار ليجعلها الصراع مع الصليبيين في أعلى درجات طبقة الخاصة. وحلت مباشرة بعد الأُسر الحاكمة في الترتيب المجتمعي. وفي هذا البحث سنتناول ظهور هذه الطبقة العسكرية وطبيعة تطور نفوذها في الدولتين الزنكية والايوبية في بلاد الشام والمناصب الرئيسية التي تقلدتها والتي انبثقت في هذه المرحلة، بفعل الصراع الاسلامي- الصليبي. فضلا عن الادوار السياسية التي لعبتها في بلاد الشام سواء في الجهاد ضد الصليبيين او ضمن العلاقات الاسلامية- الاسلامية.

الكلمات المفتاحية: العسكرية، الزنكية، الأيوبية، بلاد الشام.

مقدمة الدراسة:

أولاً: الإقطاع العسكري

ومن المفهوم إن أساس ارتقاء القائد أو العسكري إلى مرتبة النخبة العسكرية هو ما يحوزه من إقطاعات. فمكانة القائد في التسلسل الهرمي العسكري مرتبط بحجم إقطاعات التي يحوزها، لان ذلك سيحدد ما ستكون أقطاعيته قادرة على تأمينه من مقاتلين في ميدان المعركة، وذلك يدفعنا إلى البحث في ماهية الإقطاع العسكري الذي استمد أصوله من الإقطاع السلجوقي وجرى تطويره في العهدين الزنكي والأيوبي في ضوء الواقع الجديد الذي فرضته ظروف المواجهة مع الصليبيين. فما هو الإقطاع العسكري وما تأثيره في تشكل النخبة العسكرية.

الإقطاع لغةً: مأخوذ من أقطع يقطع، بمعنى: أباح، منح، وهب، أو كل لفظ يشير إلى معنى الهبة، كقولهم: إن فلاناً استقطع الإمام قطيعة، إذا سأله أن يقطعها، فأقطعه إيَّاها.[1] واصطلاحاً: تعني، "أن يدفع الأئمة إلى من يرون أن يدفعوا إليه شيئاً مما ذكرناه (الأرضي) فيملك المدفوع إليه ذلك رقبته بحق الإقطاع، ويجبى عليه فيه العُشر"[2]، وبذلك ينطبق ما ذكر على ما اصطلح الماوردي على تسميته بـ (أقطاع التمليك)[3] إذ يصير به المقطع له مالكا لرقبة (الأرض) كسائر أمواله وبعد أقطاعه إياها يجوز له بيعها في حياته أو أن تنتقل إلى ورثته بعد موته.[4]

وقد أدى نظام الإقطاع العسكري الذي تبناه السلاجقة بتوجيه من الوزير نظام الملك إلى

[1][جمال الدين أبو الفضل بن منظور ، لسان العرب، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، ط3، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).12/ 140.

[2][قدامة بن جعفر بن قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، (بغداد، دار الرشيد للنشر، 1981)، 218.

[3][أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، 1989)، 211.

[4][أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء، الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق، محمد حامد الفقي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1971م)؛ للمزيد ينظر: عبد الوهاب خضر الياس، الإقطاع في العصر العباسي، (132-

إيجاد نخبة عسكرية عليا ازداد نفوذها مع مرور الزمن، إذ ضاعفت الحروب المتواصلة التي خاضها السلاجقة ضد أعدائهم الحاجة إلى هذه النخبة وإغرائها بالإقطاعات لكسب ولائها. وتحولت في مراحل معينة إلى مراكز قوى سياسية وبخاصة في ظل الصراع داخل الأُسر الحاكمة في المنطقة، بانحيازها إلى هذا الملك أو غيره.[5] وقد جاءت الحروب الصليبية لتعزز أهمية ونفوذ هذه الطبقة، فكانت نواة للأسر الحاكمة التي حلت محل الوجود السلجوقي المباشر في بلاد الشام، أولاً في صيغة اتابكيات لتربية أولاد السلاطين، ومن بعد ذلك استقلت بالحكم، ويصدق ذلك على الأمراء الذين تشكلت على أيديهم الدولتان الزنكية والأيوبية، فقد كان عماد الدين زنكي أميرا من أمراء السلاجقة، وكانت أُسرة صلاح الدين في عداد أمراء الزنكيين.

فقد وجد السلطان السلجوقي محمود أن مدة الاضطراب التي عاشتها الموصل وبلاد الجزيرة بعد وفاة آق سنقر البرسقي تستدعي أن يتولى حاكم بكفاءة القائد العسكري عماد الدين زنكي الموصل[6]. وهو عقب توليه الموصل قرر قواعد الجند ونظّم الإقطاعات العسكرية[7]، واعتمد على نخبة من القادة العسكريين والإداريين، فأقطع مدينة أربل بعد استيلائه عليها إلى زين الدين علي كوجك (ت563هـ/1168م)[8]، الذي كان أثيراً لديه، ومضى في مضاعفة إقطاعاته كلما ازدادت خدمته له وكلما توسعت دولة عماد الدين، إذ تجاوزت إقطاعات زين الدين كوجك إربل لتشمل قلعة العقر الحميدية والعمادية وشهرزور وتكريت وسنجار وحران، التي أقطعها له زنكي واستمر على ذلك من بعده أبناؤه زين الدين يوسف ومظفر الدين كوكبري [9].

أما نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه فقد أقطعهما زنكي في شهرزور إقطاعاً له أهميته، وقيل أنه أقطع الموزر[10] لأسد الدين شيركوه [11]عقب التجائهما إليه عام (532هـ/1137م)، ثم وثق زنكي كثيراً بنجم الدين فولاه بعلبك المثاغرة للصليبيين- كما سبق القول- عام (534هـ/1139م)، وأقطعه ثلثها أو نصفها.[12]

وقد شهد حكم عماد الدين زنكي قيامه بنهي الأمراء من تملك الأراضي وأمرهم بالاكتفاء بواردات الإقطاعات الممنوحة إليهم، خشية من سيطرتهم على املاك الرعية ظلماً، ولذلك رأى أن لا حاجة للأمراء إلى امتلاك الأراضي طالما كانت البلاد في أيديهم.[13]

447هـ/749-1055م)، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1991م، 36.

[5]][مصعب حمادي نجم الزيدي، الاقطاع العسكري: نشأته وتطوره من العصر السلجوقي الى العصر المملوكي، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية، جامعة الموصل، 2012، م 11، ع3

[6]][عز الدين علي بن محمد بن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، ط 5(، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010). الكامل، 9/ 7؛ عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي،(بيروت، مؤسسة الرسالة، 1972)، 213.

[7]][عز الدين علي بن محمد بن الأثير،التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر طليمات (القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1963). ، 36.

[8]][ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، الجزء الأول، (مصر، دار الثقافة والإرشاد، 1953).مفرج الكروب، 97/1.

[9]][ابن الأثير، الكامل، 9/ 333؛ جمال الدين أبو شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق:إبراهيم الزيبق، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1418هـ/1997م).، مج2، 27؛ أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة، المعهد الالماني للآثار 1391هـ/1972م). مج7، 38.

[10]][الموزر، كورة تقع في الجزيرة الفراتية منها نصيبين الروم؛ ياقوت الحموي، البلدان، مج5، 221.

[11]][أبو شامة، كتاب الروضتين، 2/1، 167.

[12]][أبو شامة، كتاب الروضتين، 165/1.

[13]][ابن الأثير، الباهر، 77؛ أبو شامة، كتاب الروضتين، 1/ 184؛ ابن واصل، مفرج، 101/1.

وفي أعقاب مقتل زنكي وانقسام مملكته على فرعين (الموصل وحلب)، استمر حكام كلا القسمين على سياسة الإقطاع، إذ أقطع سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي كبار أمرائه الإقطاعات الضخمة، فولى عز الدين أبا بكر الدبيسي جزيرة ابن عمر[14] وجميع القلاع والحصون الواقعة في منطقة الزوزان[15]، بينما قام أخوه قطب الدين مودود بن زنكي بعد توليه الحكم بأقطاع سنجار لزين الدين علي كوجك.[16]

وقد يبلغ الأمير المقطع له مدينة أو منطقة ما درجة من القوة يتعذر معها على الحاكم استرجاعها منه فتظل في يده إلى حين وفاته، كما حدث عندما عجز قطب الدين بن زنكي عن استرجاع جزيرة ابن عمر من الأمير عز الدين أبي بكر الدبيسي، الذي كان أخوه الأكبر سيف الدين غازي قد سبق أن أقطعه اياها، فظلت بيده إلى أن توفي عام (552هـ/1157م)، فعندئذ تمكن قطب الدين من استرجاعها إلى سلطته .[17]

ومما يلحظ في القسم الغربي من الأتابكية الزنكية، أن نور الدين جعل الإقطاع وراثياً ينتقل إلى الأبناء، حتى وإن كانوا صغيري السن إذا استشهد أباءهم، فكان يجري عليهم الجرايات، ويرتب لهم من يتولى أمرهم يبلغ بهم العمر، فكان الجنود يقولون هذه أملاكنا ونحن نقاتل عليها لأننا نتوارثها[18]. ولا شك أن منح الإقطاع بهذا الشكل يعد أحد العوامل المشجعة التي تدفع بالمقاتلين إلى القتال لضمان مستقبل أهليهم وأبنائهم بعد استشهادهم.[19]

وكانت الإقطاعات تمنح عادة للأمراء الذين أدوا خدمات كبيرة نحو الأتابكية –كما أسلفنا- وللمقطع الحرية في إدارته الداخلية ضمن حدود ما أقطع له، بأن ينظم شؤونه المنطقة ويرتب أمورها ويحصن دفاعاتها فضلاً عن نشر الأمن والأمان بين رعاياه والإشراف عليهم، لكن تدخل السلطة ينحصر في الحد من تجاوزات المقطع أو من هم في معيته، فقد ذكر أن نور الدين أعطى سنة (563هـ/1167م) أقطاع حمص وأعمالها لأسد الدين شيركوه، وتوجه الأخير إلى أقطاعه ونظم أموره وحصن دفاعاته وأمن مصالح رعاياه،[20] وقيل إنه أقطعه قبل ذلك مدينتي الرحبة[21] وتدمر[22][23]، وأقطع صلاح الدين ضيعتين إحداهما في كفر طاب[24] والأخرى في حلب[25]. وتذكر المصادر أن تأسيس نور الدين لدار العدل كان يستهدف تجاوزات كبار رجال الدولة، وان شيركوه – كما يقول ابن الأثير- رأى ذلك

---

[14] أحمد بن يوسف بن علي الأزرق الفاروقي، تاريخ الفارقي، تحقيق : بدوي عبد اللطيف عوض (القاهرة، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، 1379هـ / 1959م).، 11/ 242؛ ابن الأثير، الكامل، 9/ 160؛ ابن واصل، مفرج، 114/1.

[15] ابن الأثير، الباهر، 93.

[16] أبو شامة، كتاب الروضتين، 1/1/ 236؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 120/1.

[17] ابن الأثير، الكامل، 9/ 240.

[18] أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق الكبير، تحقيق وتعليق وتخريج: محب الدين أبي سعيد غرامة العمري، (دمشق، دار الفكر للنشر والتوزيع، 1997م)، 57/ 124.

[19] شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد بن أبي بكر المقدسي، إيقاظ الغافل بسيرة الملك العادل نور الدين الشهيد، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، المكتبة العصرية، 2006م)..

[20] أبو شامة، كتاب الروضتين، 1/ج2، 26؛ حمزة بن أحمد بن عمر المعروف بابن سباط الغربي، تاريخ ابن سباط، بعناية عمر عبد السلام تدمري، ط1، (بيروت، جروس بريس، 1413هـ / 1993م)، 118/1.

[21] الرحبة: وهي رحبة مالك بن طوق بينها وبين دمشق ثمانية أيام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، 34.

[22] تدمر، مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 17.

[23] ابن الفرات، تاريخ، 53/3.

[24] كفر طاب، بلدة بين المعرة ومدينة حلب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 470.

[25] أحمد بن إبراهيم الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: ناظم رشيد، (بغداد، دار الحرية، 1979).65.

يستهدف تجاوزات رجاله، فخاطبهم قائلاً: " إن نور الدين ما أمر ببناء هذه الدار الا بسببي، والله لأن أحضرت إلى هذه الدار بسبب أحد منكم لأصلبنه، فامضوا إلى كل من كان بينكم وبينه منازعة في ملك أو غيره، فافصلوا الحال معه وأرضوه بكل طريق أمكن ولو أتى على كل أملاكي."[26] ومن جانب آخر فإن أقطاع الأرض لا يعني تمليكها جميعها، وإنما الغاية في بعض تلك الإقطاعات توفير المتطلبات المالية للأمراء والقادة العسكريين، من واردات تلك الأراضي بما يأخذونه من ضرائب من مالكيها الأصليين العاملين عليها، كما تبين ذلك من نهي عماد الدين زنكي أمراءه عن تمليك الأراضي.[27]

وليس غريباً القول إن سياسة الإقطاع دخلت مع أمراء نور الدين إلى بلاد مصر، إذ إن أسد الدين ما أن استلم الوزارة ورتب أموره حتى شرع بأقطاع البلاد للعساكر التي قدمت معه إلى بلاد الشام، لتأمين نفقاتها[28] . وفي نفس الوقت ان مصادرة اقطاع الامراء الفاطميين كان اضعافا لنفوذ هؤلاء الامراء وبالتالي اضعافا للقوات الموالية للخليفة الفاطمية، ولاسيما فرق السودان التي ثارت على صلاح الدين وفقا لمؤامرة دبرها مؤتمن الخلافة، وتمكن تورانشاه اخو صلاح الدين من القضاء عليها.[29] ثم استمر صلاح الدين في سياسة الإقطاع لاسيما بعد ان قدم عليه أفراد اسرته والشخصيات البارزة في بلاط نور الدين، [30]، فبعد انتقال اسرته إلى مصر قام بمنحها الإقطاعات، فأقطع والده نجم الدين ايوب الاسكندرية ودمياط[31] والبحيرة[32]، كما أقطع اخاه الاكبر شمس الدين تورانشاه مدن قوص[33]

وأسوان[34] وعيذاب.[36] [35]

وجعل صلاح الدين ومن جاء بعده لأمرائه ومماليكه الإقطاعات[37]، وإن كانت بعض هذه الإقطاعات قد تتفاوت مساحتها ولا تحدد بالمدة المقررة في سجلات الديوان، تبعا للضرورة التي يتطلبها الجهاد ضد الخطر الصليبي المتواصل في هذه المنطقة[38]. إذ يقطع هذا الأمير أو ذاك مقابل تعهده بإرسال التقارير عن أحوال أقطاعه لإدارة الدولة ، ويلتزم بتقديم مجموعة من الجند لإدارة الدولة المركزية عندما يطلب منه ذلك [39] ويتعهد كل مقطع بأن يخرج إلى الحرب ومعه عدد من الفرسان باذلا ما يستطيع في الدفاع والمواجهة، وإذا أخل الأمير بهذا الشرط حرم من أقطاعه، وهذا ما أقدم عليه صلاح الدين إذ أخذ إقطاعات جماعة من الأمراء في أعقاب هزيمة الجيش الأيوبي في معركة الرملة عام

---

[26][ابن الأثير، الباهر، 78

[27][ابن الأثير، الباهر، 77؛ أبو شامة، كتاب الروضتين، 1/ق1، 184؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 101/1.

[28][ابن واصل، مفرج الكروب، 165/1.

[29] Andrew Ehrenkreutz, Saladin Coup d etat, in Egypt" In Medieval and Middle Eastern Studies, in Honour of Aziz Suryal Atiya Hanna, Sami (eiden, E.J Brill, 1972)

[30][ابن الفرات، تاريخ ، 67/1.

[31][دمياط، مدينة قديمة تقع بين تنيس ومصر، وتعد من ثغور الإسلام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 472.

[32][البحيرة: والمقصود بها بحيرة الإسكندرية، وهي كورة معروفة تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. ياقوت، معجم البلدان، 351/1.

[33][قوص، مدينة كبيرة قبطية تعد قصبة الصعيد، واسعة الثراء وهي محط التجار الوافدين من عدن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج4، 413.

[34][اسوان، مدينة صغيرة عامرة، تقع في آخر الصعيد الأعلى، وتعد من ثغور بلاد النوبة. الإدريسي، نزهة المشتاق، 30/1.

[35][عيذاب، مدينة تقع على شاطئ البحر الأحمر، ناصر خسرو، سفرنامة، تحقيق: د. يحيى الخشاب، ط3، (بيروت، دار الكتاب الجديد، 1983)، 72.

[36][أبو شامة، كتاب الروضتين، 2/1/ 100.

[37][ابو الفتح علي بن محمد ، سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، (القاهرة، دار المعارف، 1979م)، ٢٠٨.

[38][إبراهيم على النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط فى العصور الوسطي، (القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 2016) ، 48.

[39][هاملتون ا. ر. جب، صلاح الدين الأيوبي: دراسات في حضارة الاسلام(بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1973)، ١٨٩،

573هـ/ 1177م، ثم عند سقوط عكا عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م[40]. فمما لا شك فيه أنه لكل مملكة أيوبية أو أقطاعية عسكرية قواتها الخاصة بها، ومجموعها هو الذي بلغ تعداد هذا الجيش، فعسكر دمشق كانوا بنحو ألف فارس[41]، وكذلك قوات حلب .[42]

وقد نصب صلاح الدين أخاه تورانشاه على دمشق بعد دخولها، ثم كلف بذلك عز الدين فرخشاه ابن اخيه الاكبر شاهنشاه بن أيوب[43]، بعد توجه تورانشاه إلى الاسكندرية. وبعد وفاة فروخشاه تولى عسكرها شمس الدين محمد بن المقدم عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م[44]. وتولى عسكر حلب بدر الدين دلدرم الياروقي[45]، ثم تولى قيادة عسكرها عام ٥٨٧هـ/١١٩١م سليمان بن جندر[46]، وصار في هذا العام الأمير الكردي حسام الدين أبو الهيجاء السمين مقدما للعساكر الأيوبية .[47]

وبرز من النخبة العسكرية العليا بعد وفاة صلاح الدين عام1193/589م هـ، فخر الدين اياز جهاركس[48]، وسيف الدين إسماعيل بن أحمد الهكاري المعروف بابن المشطوب[49]، وتولى صواب الخادم شمس الدين العادلي مقدما لعساكر الملك الكامل الأيوبي[50]. وكان الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري عسكر الملك الصالح نجم الدين أيوب[51]، وتولي ناصر الدين حسن بن عبدالعزيز القيمري مقدمة الجيوش الأيوبية في عهد الملك الناصر يوسف آخر الولاة الأيوبيين في بلاد الشام[52]، وكان حينها شمس الدين لؤلؤ الأميني المتوفى عام 148 هـ/. ١٢٥م مقدمة عسكر حلب.[53]

ثانياً: المناصب العسكرية العليا

الأسفهسلار لقب عسكري فخري عرفته التنظيمات الإدارية في الدويلات السابقة للعصر الأيوبي وأصل كلمة الأسفهسلار فارسي تركي، فاسفه تعني بالفارسية مقدم، وسلار تعني بالتركية العسكر، وبذلك تعني مقدم العسكر وقائد الجيش[54]، والأسفهسلار زمام كل زمام، وهذا ما لقب به بعض أمراء الأُسرة الأيوبية.[55]

كان نجم الدين أيوب بن شاذي واليا لقلعة تكريت، فلقب بالأسفهسلار، وأطلق هذا اللقب على أخيه أسد الدين شيركوه، وخاطب نورالدين محمود بن زنكي قائده صلاح الدين بلقب الأسفهسلار[56]. ونظرا للمهام العسكرية التي كانت توكل لبعض الوظائف الأخرى مثل الأتابك والوالي، فقد لقب أصحابها به مثل أتابك دمشق سعيد آبق بن

---

[40]] للمزيد انظر: حسنين محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، (القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، 1964)، ٢٥.

[41]] الأصفهاني، البرق الشامي، 2/ ١١٧؛ وأبو شامة، كتاب الروضتين، 1/ ٢٥٠، ويذكر أن عدد عساكر دمشق بلغ ثلاثة آلاف جندي في عهد الملك المعظم عيسى. ينظر: الدواداري، كنز الدرر، 7/٢٨٧. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢٢/22.

[42]] جب، دراسات، ١٠٥.

[43]][الأصفهاني،البرق الشامي،3/ ١٧٠.

[44]] ابن الأثير، الكامل، ٤٩١/11.

[45]] الأصفهاني، البرق الشامي، 61-170.

[46]] الأصفهانى، البرق الشامي، ٤٧٢.

[47]] ابن شداد، النوادر السلطانية، ١٢٤

[48]] ابن النظيف الحموي، التاريخ المنصوري، تصنيف: أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي، تحقيق: الدكتور أبو العيد دودو ، مراجعة: الدكتور عدنان درويش، (مطبعة الحجاز، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1981)، ٣. وابن خلدون، العبر، 5/ ٢٩٩.

[49]] سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، 8/ ١، ٤٢٠. واليافعي، مرآة الجنان، 4/ 44.

[50]] اليافعي، مرآة الزمان، 4/ ٧٥.

[51]] الدواداري، كنز الدرر، 7/ ١٥٩.

[52]] النعيمي، الدارس، ٢٢٥/1.

[53]] سبط بن الجوزي. مرأة الزمان، 5/ ٢/ ٧٨٣.

[54]] ابن خلكان. وفيات الأعيان، 155/7؛ وحسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والأثار، (مصر، مطبعة لجنة البيان العربي، 1957م)، 362.

[55]] ابن الأثير. الكامل، ١١/ 344؛ مجير الدين الحنبلي العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، (عمان، مكتبة دنديس، 1420هـ/1999م).1/ ٣١٣.

[56]] للمزيد ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ٢٢٧، ٣٣٠، وابن الأثير، الباهر، ١٤٢، وابو شامة. كتاب الروضتين، 2/ 408، وابن خلكان، وفيات الأعيان 1/ 257؛ وابن العبري، مختصر الدول، ٢١٣، والنعيمي، الدارس، 285/2.

محمد بن بوري[57]، والأسفهسلار بهاء الدين قراقوش الأسدي (ت ١٩٧هـ/ ١٢٠١م) ، واسفهسلار العساكر الأيوبية عند حصار الفرنج لعكا عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين[58]، ووالي القدس الأسفهسلار عزالدين سعيد أبو عمر عثمان بن علي بن عبدالله الزنجيلي 597 - 104هـ/ ١٢٠٠- ١٢٠٧م[59]، حتى تطور هذا اللقب فصار ترتيبا وظيفيا رئيسا في إدارة الدولة بعد هذا العصر، ويحدد القلقشندي (ت عام ٨٢١ هـ/1418 منزلته : وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم، وفي خدمته يقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم.[60]

ويتبع لما سبق من ترتيبات إدارية وظائف إدارية مختلفة مثل : الجاندار - حامل السلاح-، وقد يتولى الجاندار باب السلطان، ويعرض عليه البريد بدل الدوادار[61]، ويرافق الجاندار السلطان في ترحاله، وثمة إشارة إلى جاندار صلاح الدين واسمه طغريل بأنه من تصدى للاسماعيلية الذين حاولوا اغتيال صلاح الدين.[62]

ثالثاً: الحلقة السلطانية أو الحرس الشخصي للحاكم الأيوبي

يأتي الحرس الشخصي لصلاح الدين أو ممن عرفوا باسم الحلقة السلطانية أو باسم الفرقة الصلاحية[63] في المرتبة الثانية بعد كبار الأمراء ضمن النخبة العسكرية، وهم في الغالب من فئة المماليك الأتراك الذين ارتبطوا بالأُسرة الأيوبية وإقطاعاتها منذ العهد الزنكي، ومن هؤلاء المماليك تكونت الحلقة السلطانية التي كانت ترافق صلاح الدين في حروبه. تشكلت فرقة الصلاحية أثناء وزارة صلاح الدين في مصر ، ولعل نواتها قسم من الفرقة الأسدية التي رافقت شيركوه في الحملة الثالثة على مصر وتمثل إقطاعيته هو في حمص كما أوضح المستشرق هاملتون جب[64]، ومنهم تكونت نواة الجيش الأيوبي وظهر منهم أبرز قادته ويتضح ذلك من القابهم مثل بهاء قراقوش الأسدي وسيف الدين يازكوج الأسدي وجاولي الأسدي[65] ومن هؤلاء المماليك قادة الجيش وأمرائه، وأكثر الناس اخلاصا لصلاح الدين ودفاعا عن دولته. ويقف إلى جانب الضباط الاصغر مرتبة، لكنهم جميعا هم من طبقة الخاصة. ومن أبرز قادة الأسدية ومن بعدها الصلاحية الأمير الكبير عز الدين جاولي الأسدي[66]، ومنهم مقدم عسكر حماة عام 574هـ/ ١١٧٨م، الأمير ناصر الدين منكورس بن الأمير ناصح الدين خمارتكين[67]، وصارم الدين قايماز النجمي[68].الذي كما هو واضح من لقبه كان مملوكاً بالأصل لنجم الدين أيوب. وهنا لا بد من التوقف لتأمل ذلك النظام الاجتماعي الذي يتيح لمملوك أن يرتقي ليكون من النخبة السياسية الحاكمة، ثم يصير في المرحلة

[57][ابن القلانسي، تاريخ دمشق، 225.
[58][ابن شداد، النوادر السلطانية، 134.
[59][العليمي، الأنس الجليل، ٢/ ٢٠.
[60][أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1987)، 554/٢.
[61][الأصفهاني. البرق الشامي،3/ ١٣١، أبو شامة، كتاب الروضتين، 2/ ١٨٧، المقريزي. السلوك، ١٢٢/1، 124.
[62][أبو شامة. كتاب الروضتين، ١/ ٢/ ١١١. وسبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ٢٢٨/1/٨.
[63][ابن واصل. مفرج الكروب، 2/ ١٢٩، وابن الفرات. تاريخ، 4/ 2/ ١٠.
[64][جب، صلاح الدين، 120
[65][محسن محمد حسين. الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ط2، (أربيل، دار ئاراس، 2002) ١٩٨-١٩٩.
[66][ابن شداد. النوادر السلطانية، ٢٢٢. والمقريزي. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والمسمى (الخطط المقريزية)، (الشياح، الساحل الجنوبي، 1959)، ٢/ 355.
[67][الأصفهاني، البرق الشامي، ١٢٨، وأبو شامة. كتاب الروضتين، في ٢، ٥١. وابن واصل. مفرج الكروب، 2/ ٧٠.
[68][الأصفهاني، الفتح القسي، ١١-١٢.

التالية رأس السلطة السياسية في العهد المملوكي.

ويتولى أمير العسكر إمرة عدد من العساكر قد تبلغ مائة وخمسين فارسا، أو مائتي فارس والأقل مرتبة بإمرة خمسين فارساً[69]، ويذكر منهم يحيى ابن أبي الحسن ابن محمد ابن أبي الفضل محمد بن يحيى بن الخشاب الحلبي الذي تولى في أيام العزيز بن الظاهر، والناصر يوسف - آخر ملوك حلب- تولى إمرة عشرين فارساً، ومنهم ميلاد بن إبراهيم بن عدلان الأمير فخر الدين الهشتكي، الذي تولى في أيام الناصر يوسف إمرة خمسين فارساً.[70]

ويكون موقع هذا الأمير في مقدمة عسكره وفرقته لمعرفته بمكائد المعارك والحروب[71]، حتى يكون أنموذجا مرشدا للعساكر أثناء العمليات الحربية[72]. ويذكر المؤرخون أن أبناء الأيوبيين ولوا أقرباءهم ومقربيهم قيادة فرقهم العسكرية[73] والطواشي من ضمن التنظيمات الخاصة بالقيادة العسكرية، يتولى قيادة الفرق العسكرية، وهو بمثابة مسؤول عن نقل الأوامر وتعيين مواقع القادة في ساحة المعركة، وإن كانت هذه الدلالة غير واضحة في العصر الأيوبي . ونجد ان بعض من حمل هذا اللقب قد لعب دورا رئيسا في الأحداث الجارية، ويذكر منهم شمس الدين صواب العادلي، مقدم جيوش الملك العادل، الذي خصص له من الخدم مائة مملوك[74]، ثم الطواشي مرشد بشير، وهو من قادة المنصور محمد بن تقي الدين -صاحب حماة[75]، والطواشي عز الدولة نائب الناصر داود على الكرك عام 629هـ/ ١٢٣١م[76]، والطواشي بدر الدين الصوابي الذي كان له دور كبير في ولاية الملك المغيث عمر بن الملك العادل في أعقاب وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب عام 547 هـ/1249م .[77]

ويتبع إلى هذه التراتيب العسكرية منصب أمير السلاح، وعرفها القلقشندي بأنها "حمل سلاح السلطان أو الأمير، ويلقب صاحبها بالسلاحدارية"[78]، وقد يعرف بالسلحدار، وهو المشرف على خزائن السلاح ويتولى حفظها والتوقيع على ما تحتويه خزائنه[79]. ومن الواضح ان من يتولى مثل هذا العمل يجب أن يكون من المقربين

للسلطان ومحل ثقة خاصة[80]. وممن تولى السلاحدارية في عهد صلاح الدين، شجاع الدين طغرل"[81]، ثم حسام الدين سنقر الوساقي[82] وتولاها طغرل كذلك للملك الأفضل بن صلاح الدين.[83]

---

[69]][ابن شدّاد، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط، ط1، سلسلة : ألمانيا، (شتايز، بفيسبادن، دار فرناز، 1983م)، ٢١٩، والعمري، مسالك الأبصار، ٥٧. والسيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1378هـ-1958)، 20/ 14.

[70]][ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، 19.

[71]][الأصفهاني. الفتح القسي، 11، ١٢.

[72]][ابن خلكان. وفيات الأعيان، ٢٩٨/1 ، وابن واصل. مفرج الكروب، 2/ ٢٢٢، والعليمي. الأنس الجليل، ٢٢٧.

[73]][ابن خلدون. العبر، 5/ 405، والعليمي، الأنس الجليل، ٣٥٥ ، ونوري. سياسة صلاح الدين، ١٩٨.

[74]][اليافعي، مرآة الزمان، 2/ ٧٥. و الصفدي. الوافي بالوفيات، 11/ ٣٢٩. و حسين. الجيش الأيوبي، ١٠٣.

[75]][ابن الوردي. تتمة المختصر، 2/ ٢١٧. والمقريزي. السلوك، 1/1/ ٢٠١.

[76]][ابن واصل. مفرج الكروب، 5/ 15.

[77]][اليونيني. مرأة الزمان، ج١، ١١١، ومكين جرجيس ابن العميد. أخبار الأيوبيين، (القاهرة، مكتبة الثقافة الأندلسية، 1993)، 158.

[78]][القلقشندي. صبح الأعشى، ١٩/4، ٢٨/5. العمري. مسالك الأبصار، ص٥٨.

[79]][المقريزي. الخطط، 2/ ٢٢٢، و رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، محمد سليم النعيمي، (بغداد، دار الرشيد للنشر، 2011)، ١١٧/1.

[80]][ابن شداد، النوادر السلطانية، ١٩٥، والصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٨٦/1.

[81]][ابن شداد، النوادر السلطانية، ١٩٥، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٥٢/2. وابن واصل. مفرج الكروب، 2/ ١١.

[82]][المقريزي، الخطط، 2/ ٢١٣.

[83]][ابن واصل. مفرج الكروب، 2/ ١٢.

وتقدم المصادر المعاصرة روايات مهمة عن مجالس الشورى والحرب التي كان يعقدها صلاح الدين، ويبرز فيها نفوذ رجال النخبة العسكرية في صنع القرارات السياسية. وكان صلاح الدين ينزل في كثير من الاحيان عند رأي هؤلاء القادة، وأن خالف ذلك رغبته الشخصية. ويورد ابن شداد والعماد الاصفهاني، وكانا شاهدين على هذه الاجتماعات، نصوصا تبين الأسماء المتنفذة في دولة صلاح الدين مثل أبي الهيجا السمين والمشطوب الهكاري. وبالتاكيد ان مكانة هؤلاء مصدرها حجم الإقطاعات التي بايديهم وأعداد المقاتلين الذي يقعون تحت إمرتهم [84]. وفي المرحلة الاخيرة من الحملة الصليبية الثالثة، انعقد المجلس الحربي ورفض فيه بعض الأمراء البقاء داخل اسوار القدس والدفاع عنها، فآلم ذلك صلاح الدين ألما شديدا كما يذكر ابن شداد.[85] وفي تقليد ديوان الخلافة العباسية للسلطان العادل أبي بكر بن أيوب يدعوه إلى هذا بالقول : أن يأخذ برأي ذي التجارب منهم والحنكة، ويجتني بمشاورتهم في الأمر ثمر الشركة، إن في ذلك أمن من خطأ الانفراد وتزحزحاً عن مقام الزيـغ والاستبداد.[86]

وبرز في عهد الصالح ايوب مجموعة من القادة الذين غدت لهم مكانة كبيرة في الدولة الأيوبية، ومن بينهم حسام الدين بن الهذباني وفخر الدين بن شيخ الشيوخ، فحسام الدين هو من نسل الأُسرة الهذبانية، وهي أُسرة من قبيلة الهذبانية الكردية. وقد رافقت هذه الاسرة صلاح الدين في بنائه لدولته وتوارث أبنائها قيادة الجيوش الأيوبية. اما حسام الدين فبلغ من مكانته في زمن الصالح ومن بعده انه كان الموكل بحفظ ملك فرنسا لويس التاسع وكان يفاوضه في موضوع الفدية وتسليم دمياط.

الخاتمة

يتضح مما سبق أن الحروب الجهادية المتواصلة، والمخاطر التي كان تتعرض لها الاراضي الاسلامية، قد جعلت الحاجة ماسة لنشوء نخبة عسكرية قادرة على تعبئة القوات بسرعة والتصدي العاجل لأي خطر. وان تواصل المعارك عزز من مكانة هذه النخبة ودورها ضمن طبقة الخاصة بصورة غير معهودة في المراحل السابقة من التاريـخ الاسلامي، وان هذه المكانة ستتعاظم في المرحلة المملوكية حينما ينتقل افراد النخبة العسكرية انفسهم ليصبحوا ضمن الاسرة السياسية الحاكمة.[87]

[84][الأصفهاني. الفتح القسي، ٣٢٦ ، و ابن شداد. النوادر السلطانية116، وأحمد بن علي المغربي الحريري. الأخبار السنية في الحروب الصليبية، تحرير وتقديم: قاسم عبده قاسم، (بيروت، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2017)،146، ١٥٢ ، ورنسيمان. الحروب الصليبية م٢، ١٧٩٩ و 799

[85][ابن شداد، النوادر السلطانية، 45.

[86][القلقشندي. صبح الأعشى، ١/ ١٠٩.

[87][] P. M. Holt, "The Mamluk Institution " , in Youccef Chouieri(ed.),A Compaion to the History of the Middle East, Blackwell, London,2005,pp.157-158